وتلك البلاد واسعة جدًّا وهم يجهلون تخومها حتى انهم يدعونها باسم « ايز علـم » اي الدنيا الجديدة . ومن ورائها ليس سلطة للنجاشي وهم لا يعلمون شيئاً من امور اهلها لكنَّهم يقولون انَّ النيل يجري في بلاد الكفَّار ومنها يسيل الى مصر » انتهى

هذا هو الفصل العجيب الذي فصَّل فيه الاب پايز ما عرفهُ حقَّ المعرفة عن النيل الازرق وكلامهُ لا يبقي شكًّا لمستريب . والسلام

النتائج التاريخيَّة

من درس اعلام الاماكن اللبنانية

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافيَّة والتاريخ في المكتب الشرقي (تتمَّة)

وفي بطرَّان من قضاء الكورة اثار عديدة من قبور واحواض كبيرة كلها منحوتة بالصخر قد وجدنا بينها اخرية تدعى اشمونيت زوَّج كونها انقاض هيكل اشمون الاله الفينيقي (١ الذي ينطبق على الاله اسكولاب اله الطبّ عند اليونان . وكانَّ النصارى القدماء ارادوا تقديس ذلك المكان فاقاموا هناك معبدًا باسم القديسة اشموني اضحى اليوم خرابًا والاهالي يكرّمونهُ وقد اعتادت النساء اللواتي يشعرنَ بألم في الصدر ان يمسحنَ موضع الوجع بماء معصوب على حجر من حجارة المعبد القديم . واشموني عند الشرقيين ام السبعة الفتية الشهداء المذكورين في سفر المكابيين لكنَّ الكتاب المقدَّس لا يذكرها اسماً ولعلَّ الشرقيين اشتقوا اسمها اشموني من العبرانية שמונה اي الثامنة لانها قُتلت بعد اولادها السبعة

*

قد ابنَّا غير مرَّة أنَّ لبنان يمتاز بنباتهِ الزاخر وغاباتهِ الملتفَّة . امَّا اليوم فمن يسرّح الطرف في ذرى هذا الجبل ويراهُ ابرد في اكثر اماكنهِ قليل الاحراج والاشجار نسب الينا التحمس والمبالغة وارتاب بصدق ما روينا من الادلَّة القديمة . غير أنَّ تسمية الاماكن تشهد بكثرة الاشجار والنبات في لبنان قديمًا . ومن ذلك الماكن المسمَّاة « غابة »

(١ راجع ZDMG, 1905. 459 etc,

او « غابات » والتي يدخل في تركيبها اسم شجرة كالاعلام الآتي ذكرها : « سنديانة وبأوط وصفصافة وجوز وحور ودلبة ودلبتا وزّعرور ورمّانة وخرّوب ولوز ولويزة وبُطم ومشمش وزيتون » مع اشتقاق هذه الاسماء وفروقها وتصغيرها واضافتها الخ . فاسم نهر الدامور او كما يدعوهُ اليونان تاميراس يحفظ اسم النخل الذي يُقال لهُ بالفينيقيّة تامير (تمر) ويدل على قدم هذا الشجر في لبنان (١ . وبعض هذه الاشجار كانت بالغة في الكثرة حتى تسمّت بها المقاطعات والاقاليم على نحو : « جبل الريحان واقليم التفّاح واقليم الخروب » كما بيّنّا ذلك فيما سبق من مقالاتنا عن الزراعة والاحراج في لبنان

ومما يقضي بالعجب هو اننا لا نرى في جملة النباتات الداخلة في الاعلام اللبنانيّة اسم الارز سيّد الاشجار في لبنان . فعلّة ذلك أنّ الاهلين بادروا في اول امرهم الى قطع غابات الارز واستثمار اخشابه باثمان غالية حتى تجاوزوا في عملهم كلّ حدود التروّي والفطنة كما سبق لنا ايضاحهُ (٢ فالارباح الفاحشة هي التي عرّضت اشجار الارز الى العيث والخراب حتى لم يبقَ منها الّا القليل وهذا القليل لم يسلم من تعدّي الانسان الّا بفضل القمم المنيعة التي نبت عليها مع أنّ الارز يؤثر المواضع العالية المعتدلة الهواء فلا يكاد ينبت في موضع ينقص ارتفاعهُ عن ثمانمائة او سبعمائة متر والمراكز المأهولة نجد اكثرها قائمًا في الوسط . على أنّ الشرائع الرومانيّة (٣ المختصّة بالاحراج كانت تلاشت او كادت حينما شرع العمران يتأصّل حقيقةً في لبنان اي في عهد وصول المواريّة اليه وقد كان اقتلاع الاشجار بلغ مبلغًا عظيمًا حتى لم تبقَ احراج تستحق الاعتبار الّا في الصروح العالية . فمجرّد وجود هذه الشرائع والكتابات العديدة المنصوصة فيها وهي تربي على المائة لمّا يوضح لنا جليًّا الحاجة الماسّة الى تلك الوسائل لوقاية الاشجار وبما انّ هذه الكتابات ليس لها وجود الّا في لبنان فيسوغ لنا ان نستنتج أنّ غايتها انما كانت حماية ارز ذلك الجبل

---

١) راجع غراطيق اللغة الفينيقيّة للعلّامة شرودر فصل عام الدولة الالمانية حالًا في بيروت P. Schroeder: *Phœniz. Sprache*, 135 وكتاب جوره Ch. Joret: *Les plantes dans l'antiquité*, 396 Clermont-Ganneau: *Rec. arch. orient.* v, 328, ثم

٢) تمريح الاصار (١ : ١٢٦)

٣) تمريح ١ : ٢٢–٢٢

ومهما كان من الامر فكثرة المواضع اللبنانيّة التي تسمّى باسماء الاشجار او بما يرجع اليها من الحرف والمهن كمعصرة ومعاصر دليلٌ على انّ لبنان كان ارضاً سادت فيها الزراعة بخلاف سواها من الصنائع كشغل المعادن مثلاً . فالاسماء العلميّة لها اهميّة كبرى من هذا القبيل فانها تؤيد نتائج بحثنا السابق . فاننا لا نكاد نصادف في جميع لبنان اسماً يلمّح الى تلك الصنائع الّا اسم « معادن » في ناحية المنيطرة و« الفرزل » على السفح الشرقي وهي لفظة سريانيّة ومعناها مسبك او معمل حديد

وهذه الملاحظة نفسها تتناول الينابيع المعدنيّة او الحارّة فكثيراً ما نجد في اسماء الاماكن لفظة عين . اما اسم حمام او ما هو بمعناها فلا وجود لهُ البتّة . ويؤيد ذلك علم طبقات الارض فانهُ يبيّن لنا ان الطبيعة لم تجُد على لبنان بوفرة المعادن كما ضنّت عليهِ بالينابيع المعدنيّة والمياه الحمّة اذ ليس فيهِ صخور بركانيّة

واما ما يدلّ على وجود الحيوان من اسماء المواضع اللبنانيّة فليس بالواضح الصريح فلعلّ اسمَي « مدينة الاسد » و« نهر الاسد » المارّ ذكرهما يشيران عند جغرافيي اليونان الى وجود الاسد قديماً . واليوم لا نعرف من الاعلام الحاضرة المشتقّة من اسم الحيوان الّا اسم بسرة اي بيت نمرة وكفرشس . اما سن الفيل قريباً من بيروت وخرطوم في بلاد الشقيف فلا يكفيان للدلالة على ان الفيل وُجد قديماً في لبنان لو لم تكن عندنا غير ذلك من الادلّة التي اوردناها في ابحاثنا السابقة (١)

*

ولعلهُ يخطر على بال كثيرين من القرّاء اننا اسهبنا في هذا الموضوع . ويقول قائل : ما الفائدة من جميع هذه الافتراضات الوهميّة ومن هذا التشريح اللغوي ؟ وما المنفعة من هذا الدرس بالمكروسكوب والتنقيب عن البقايا المتحجّرة في بطن اللغة والتاريخ التي لا سبيل الى احيائها ؟ فلقد اجبنا على هذا الاعتراض في افتتاح مقالتنا وفي سياق كلامنا ونجيب عليهِ الان لآخر مرّة

انّ كل من تروّى في مطالعة المقالات التي ادرجناها منذ ظهور المشرق عن احوال لبنان القديمة وتاريخهِ وجغرافيّتهِ لا بُدَّ لهُ من ان يكون لاحظ ما لاحظناهُ نحن انفسنا

(١) راجع مقالتنا المعنونة : « ما فقد في لبنان من قديم الحيوان » (المشرق ٨ : ٥٢٢ ؛ ٦٤٢)

وهو اننا نعرف ماضي لبنان بنس المعرفة اذا لم نعتمد إلّا على الشهادات والادلة الكتابيّة التي تومىء اليهِ لا سيّما اذا كان مدار الكلام على ما تقادم عهدهُ . فالحقيقة ان هذه الشهادات جميعها من كتابات مرسومة على الحجارة وادلّة في كتب المؤرخين والجغرافيين وآيات من مؤلفيّ الكتب المقدسة او غيرهم من الكتبة بلغات الشرق والغرب لا تتناول الّا بعض صفحات

لكن ما قولنا عن بقايا الابنية القديمة المتفرّقة على سطح الجبل ؟ فانها عجماء بكماء لا تنطق ببنت شفة ومن النادر ان نجد بين انقاضها جزءًا من كتابة او عبارة ضائعة في كتاب تفصح عن تاريخ بنائها واسمها والغرض منها . ومن طالع الجزء الاول من تسريح الابصار عرف ذلك حقّ المعرفة

فماذا ندري وماذا نعلم عن مساكن لبنان القديمة ؟ لعمري انّ ذلك يكاد ان لا يكون شيئاً . فلو استثنينا مدن الساحل فاننا لا نجد ذكرًا لموضعٍ مأهولٍ في لبنان قبل التاريخ المسيحي . ومن بعد التاريخ المسيحي لا نصادف كتاباً يصف اماكن لبنان قبل القرنين الحادي عشر والثاني عشر . فجلُّ قصدنا كان اذن ان نعوّض بعض التعويض عن سكوت التاريخ ونسدّ بملاحظاتنا المتقدّمة ذلك الخلل فاذا لم نوفّق الى سدّهِ جميعه فلا اقلّ من ان نسدَّ بعضه وما لا يعلم كلّهُ لا يترك جلّه فان العلم بالبعض خير من الجهل بالكثرة

فكم من موضع في الجبل ليس لهُ ذكر في كتاب وليس فيهِ شيء من العاديّات حتى ولا لحدٌ منقور في صخر يدلّ على مرور الانسان فيهِ . فهذا مما يحضُّنا على ان نلتمس من اشتقاق اسمهِ أثرًا لماضيهِ وان نستمد من دراسة اصول اللغات الفوائد التي ضنَّ علينا بها التاريخ والنصوص المكتوبة . فان كان العَلَم يونانيًا او لاتينيًا فيسوغ لنا ان نستدل من ذلك على ان الموضع الذي يدعى بهذا الاسم يتّصل تاريخهُ لعهد شيُوع هاتين اللغتين في سوريّة . وان كان الاسم يدلّ على عبادة وثنيّة فترجح أنهُ من عهد انتشار تلك العبادات في الجبل اعني في الاربعة الاجيال الاولى للمسيح او قبل ذلك لا سيّما ان كانت تلك الاسماء ترجع الى عبادة فينيقيّة او ارامية او اشوريّة . فتلك نتيجة ابحاثنا وهي على ما نظن من الاهميّة بمكان اذ تمهد طريقًا لمعرفة تاريخ نشأة المساكن وهي في بيان الحقيقة بمثابة لا تقلّ كثيرًا عن الادلّة الكتابيّة

اما اولئك الذين لا يعوّلون الّا على الآثار المكتوبة فيبقى عليهم ان يستنتجوا انهُ لم يكن في داخل الجبل من مراكز مأهولة قبل التاريخ المسيحي الّا ما ندر لانَّ التواريخ لا تذكر قبل الجيل العاشر الّا ثلاثة اسماء مسمّاة صريحاً باسمائها ذكرَ لسطرابون (١ وهي جبيجارتا وبورُوما وصنان

فلا تنكر ان العمران لم يبدأ حقيقة في لبنان قبل عهد الرومانيين غير انهُ من المعلوم ايضاً انهُ كان في لبنان اكثر من ثلاث قرى قبل التاريخ المسيحي فمن اراد الوقوف على الحقيقة فليطالع ما كتبناه في مقالاتنا عن كيفيّة استعمار لبنان وعن سكّانه الاقدمين الّا اننا في عرض هذه الابحاث لم نتوصّل حينئذٍ الّا الى نتائج بعيدة وادلّة غير وافية بالمرام . اما الدليل الصريح على أنَّ لبنان لم يكن خالياً من السكّان في قديم الزمان كما يوهمهُ سكوت التواريخ والكتابات فاننا نجدهُ خاصّة في اعلام المواضع التي لخصناها وبيّنا انَّ بعضها فينيقيّة وبالتالي متقدّمة على التاريخ المسيحي بزمن طويل

على أنَّ هذه النتائج وغيرها من الدلائل التي لا حاجة الى العود اليها تحتجّ عنّا ان كان من حاجة وتعذرنا فيما اذا كنّا توقفنا طويلاً واسهبنا كثيراً مثل هذا الموضوع الذي مع عُقمتهِ لهُ فضل الحداثة والابتكار فيما يختص بلبنان على الاقل وغاية ما تمنّاه ان ينتهض بحثنا هذا الضعيف الهممَ العالية لابحاثٍ حديثة فنغنى اذ ذاك نفسنا لاننا باسطرنا السابقة مهّدنا السبيل الى ذلك وفتحنا باباً يطرقهُ بعدنا من هو اقدر منّا

*

فهنا وعند هذه الامنية نقف بعد استئذان القرّاء الافاضل الذين بكل لطف ومجاملة رافقونا في سياحاتنا الطويلة في ماضي لبنان . على اننا لا ندّعي اننا في مقالاتنا المتقدمة وفينا بالمطلوب او استنفدنا المادّة واستفرغنا الموضوع فانا نغادر لبنان ونحن نعلم ان مسائل كثيرة فاتتنا دون ان تعرّض لها ومشاكل شتّى تركناها او لم نحلّها حلًّا مرضياً

وعسى ان يأتي بعدنا من هو اسعد منّا فيتخذها ويحكم فيها حكماً نهائياً او يوضحها احسن مما اوضحنا — ونحن نتمنّى في الختام أنَّ ما بذلناهُ من الجد والنكد

(١ كما مرَّ بك في كلامنا عن الايطوريين

يرفع طرفًا من النقاب الذي يحجب عنّا ماضي لبنان ويحث ذوي الفضل واهل العلم على أن يحذوا حذوه ويكملوا ما بدأ به فيُظهروا للعيان فضل هذا الجبل الشهير الذي اذاعت مديحهُ الكتب المقدَّسة وهو لا يزال من ابدع محاسن واجمل مشاهد سوريَّة الخالبة (تتمّت)

اهمية التجارة في مدينة صيدا

بقلم الاديب توما افندي كيال

نشرنا في مجلة المشرق في اوائل السنة المنصرمة بيانًا مختصرًا عن واردات وصادرات مدينتنا صيدا وبيَّنّا اذ ذاك ان التجارة تقدَّمت عندنا تقدُّمًا مهمًا سواء كان مع داخليَّة البلاد او خارجها وها نحن نقدم هذه المرة جداول اعمّ من الماضية وملاحظات ذات شان اخذناها من اوثق المصادر ونقَّبنا عن حقائقها كثيرًا في المحلَّات التجاريَّة فجاءت طبق المرغوب وخالية تقريبًا من الغلط

﴿ حالة التجارة عمومًا في صيدا ﴾ لقد ازدادت علاقات صيدا التجارية في سنة ١٩٠٥ زيادة مهمة مع داخلية البلاد كبيروت ولبنان وصور وعكا وحيفا والبطيحة والجديدة وحاصبيا وراشيا الخ . فوردتها من بيروت البضائع المتنوعة كالجوخ والحرير والخام والشيت والسلع على اختلاف اجناسها . وقد عُدِّل ان هذه الاصناف زادت وارداتها الى صيدا السنة المنصرمة ٣٠ في المائة . اما اسباب هذه الزيادة فتأتية : (اولاً) من ازدياد عدد تجار الاقمشة في المدينة . (ثانيًا) من اقبال اهالي القضاء ومن يجاورهم على ابتياع ما يلزمهم من صيدا نظرًا الى ما يلاقونهُ من المواددة في الاسعار ثمَّ لوجودهم فيها مطاليبهم كافَّةً خلافًا للسنين الماضية . اخيرًا توفيرًا للمصارفات التي يلزمهم تكبدها في بيروت . اما سائر الاصناف كالأرُزّ والكاز والسكّر والبنّ والجلود وقول العبيد وخلافها فقد استغنى تجارنا عن استحضارها من بيروت او بواسطتها لانها تكلفهم مجاريف كثيرة كرسم المرفأ والنقل والعمولة ولهذا تراهم يستجلبونها من بضع سنوات راسًا من محلاتها ويبيعونها باثمان اقل من بيروت وقد انتبه لهذا الامر تجار الجهات المجاورة وصاروا يتسوقون لزومهم من هذه الاصناف من صيدا . ونرى الآن بعين المسرة ان طلبات تجارنا من الاصناف المذكورة تزداد من